
ألعاب الكبار
و
أحلام المستضعفين
تَحْلِيل مُزْعِج لِلُعْبَة مُمْتِعَة
$ _ 0
إدريس أوهلال

ألعاب الكبار وأحلام المستضعفين

تحليل مُزعج للعبة مُمتعة

الكتاب: ألعاب الكبار وأحلام المستضعفين: تحليل مُزعج للعبة مُمتعة

المؤلف: إدريس أُوهلال drissohlale@gmail.com

الطبعة: الأولى 2022

تصدير

قوة الكبار ما هى فى أغلبها إلا قوة سالبة مصدرها "عقلية القطيع" التى تنتظر أن يُفعل بها ولا تَفعل، وتحكّم الكبار ما هو في حقيقته إلا عملية ترويض ماكرة للمنتخبات والأندية واللاعبين والجمهور من خلال قواعد لعب غير عادلة وتكتيكات مواجهة غير نظيفة يسهر على تنفيذها حراس المعبد ووكلاءه.. علينا أن نفهم هذا جيّداً ونتحول من ثقافة الخضوع والتبعية إلى ثقافة التحدي، ومن "عقلية المهم هو المشاركة" إلى "عقلية تحدي الرواد" والمنافسة على الألقاب.

المحتويات

مقدمة: لِنُغَيِّر العقلية

زمان كانت العقلية التي تحكم مشاركاتنا في كأس العالم هى "المهم هو المشاركة"؛ نحصد ثلاث هزائم متتالية فى الدور الأول ثم نستقل أول طائرة للعودة. وعندما نحظى بإنجاز أفضل نتحول إلى عقلية "الخروج المشرف" بالبحث عن انتصار الشرف أو هدف الشرف الوحيد!

تحدي الكبار والبحث عن الفوز والإصرار عليه عقلية افتقدناها لعقود حتى اعتقدنا أن الحظ السىء هو لعنة أبدية تلاحقنا، لكن ما رأيناه في مونديال قطر شيء غير مسبوق ومختلف كلياً.. فى قطر بدأ تاريخ جديد بعقلية جديدة.

دعونا أولا نفهم أصل "اللعنة الأبدية" التى لازمتنا كالظل.

لقّنونا بمعاييرهم وتصنيفاتهم أن منتخباتهم قوية وأن منتخباتنا ضعيفة.

فهّمونا أن قواعد اللعب التى وضعوها لخدمة مصالحهم نظيفة.

جعلونا نعتقد أن أفضل إنجاز يمكن أن نحظى به في المونديال هو مشاركة مشرفة في دور المجموعات.

علّمونا عندما نُحقق إنجازا غير عادي أن نتفاجأ ونعتقد في الحظ.

الطيور التي تولد في القفص تعتقد في العادة أن الطيران جريمة، لكن هذه المرة انتفضت طيورنا المهاجرة عندما أتيحت لها الفرصة!

في العادة السمكة في الحوض، والطائر في القفص، واللاعب الذي لا ثقة له بنفسه، والجمهور الذي لا ثقة له في فريقه، والماء عديم الشكل الذي يتدفق وفقًا للمنحدر المقدم له؛ كلهم لا ينتفضون لأنهم بلا ذاكرة عميقة وبلا وعي سامي وبلا إرادة حرة.. طالما أنك تعيش في حوض السمك الذي سَجَنُوك فيه ستصطدم مائة مرة في اليوم بالزجاج الذي ستستمر في الاعتقاد بأنه ماء!

السجين لا يتعلم لأن التعلم يحتاج إلى حرية وثقة بالنفس.. سجين عقدة النقص لا ينتفض وإنما يستر عورة عقدته بمشاركة مشرفة!

تحدي الكبار والبحث عن الفوز والإصرار عليه عقلية افتقدناها لعقود حتى اعتقدنا أن الحظ السيء هو لعنة أبدية تلاحقنا، لكن ما رأيناه في مونديال قطر، في العقلية والممارسة قبل النتائج، شيء غير مسبوق ومختلف كلياً.. في قطر بدأ تاريخ جديد بعقلية جديدة تفهم اللعبة جيداً.. تفهم أن النتائج المتميزة تحتاج إلى اللاعب المحترف والتكتيك الذكي والتفاني في الميدان.. تفهم أن قوة الكبار ما هي في أغلبها إلا قوة سالبة مصدرها "عقلية القطيع" التي تنتظر أن يُفعل بها ولا تَفعل.. تفهم أن تحكّم الكبار ما هو في حقيقته إلا عملية ترويض ماكرة للمنتخبات والأندية واللاعبين والجمهور من خلال قواعد لعب غير عادلة وتكتيكات مواجهة غير نظيفة يسهر على تنفيذها حراس المعبد ووكلاءه.

إذا فهمنا هذا بعمق علينا أن نتحول من ثقافة الخضوع والتبعية إلى ثقافة التحدي، ومن "عقلية المهم هو المشاركة" إلى "**عقلية تحدي الرواد**" والمنافسة على الألقاب، وهذا الكتاب مساهمة في تعزيز هذا الوعي وهذا التحول!

المؤامرة أو اللعبة التي لم تفهمها

ماذا حدث بالضبط في مباراة "الرائد والمتحدي" يوم 14 ديسمبر فى نصف نهائى مونديال قطر؟ هل يتعلق الأمر بمؤامرة؟

دعونا أولا نؤكد أن المؤامرة ما هى إلا اللعبة التى لم تفهمها، مثلما أن الصدمة ما هي إلا الضربة التي لم تتوقعها!

لنضع فرضية المؤامرة جانباً فما هى إلا تعبير عن جهل باللعبة وقواعدها، ولننتقل إلى فهم اللعبة بعمق وبكل واقعية ووفق أصولها.

فهم اللعبة بعمق ضرورة، لأن كل واحد منا يعتبر لاعباً فى اللعبة شاء أم أبى، بوعى منه أو بدون وعى، رائداً أو متحدياً أو تابعاً. وفهم اللعبة ضرورة حيوية ومسألة حياة أو موت لأن اللعبة غير عادلة.. الحياة عادلة، لكن الألعاب غير عادلة، لأنها تُلعب بين لاعبين بينهم تفاوت رهيب جداً فى الإمكانات والقدرات؛ من جهة نجد لاعبين يستفيدون من امتياز تراكم الإمكانات والخبرات

العابر للأجيال، ومن جهة أخرى نجد لاعبين يواجهون بإمكانات وخبرات ناشئة.

لو كانت اللعبة عادلة لتم تغيير نظام الإقصائيات ونسبة التمثيل لكل قارة.

لو كانت اللعبة عادلة لمنعت قواعدها تغيير جنسيات اللاعبين الذي لا يستفيد منه إلا الدول الغنية التي تستقطب لاعبي الدول الفقيرة.

لو كانت اللعبة عادلة لما سمحت قوانينها وأعرافها وأخلاقها بالإقصاءات المُبرمجة والنهايات المُبرمجة بما يخدم مصالح الكبار.

لو كانت اللعبة عادلة لسمحت قوانينها بإعادة المباريات التي تبث فيها ممارسة اللعب غير النظيف.

لو كانت اللعبة عادلة لتم توزيع العوائد والأرباح بشكل عادل ومنصف.

لو كانت اللعبة عادلة لما سمح للمال باختراقها وتَلَبّس جسدها بلا اسم ولا وجه ولا منصب ليحكم اللاعب والملعب واللعبة.

لو كانت اللعبة عادلة لما كان من الممكن إقصاء لاعبين كبار عندما تقتضي مصالح الكبار ذلك.

كيف تكون اللعبة عادلة والمهيمن هو من يضع القواعد، ويأخذ كل شيء إذا فاز!؟

ألعاب الكبار تشبه سرقة البنوك، لكن بشكل قانوني وبدون حرامية! فى قمة الهرم توجد الألعاب الاستراتيجية حيث تُلْعَب النهايات بين الكبار فقط أو بين الكبار والذين يتحدونهم، وفى وسطه توجد ألعاب الوكلاء والتابعين الذين يتهاترون في حدود الأدوار الصغيرة الموكولة لهم، وفى أسفله حياة مليئة بأصحاب الغيبوبات السعيدة الذين يتأرجحون بين ضغوط معيشهم اليومى ومتعة ألعابهم النفسية.

الجهل باللعبة ونظرية المؤامرة

عبر تاريخه الطويل، كان الإنسان ولا يزال، يفسر الظواهر باللجوء إلى الخرافة عندما يعجز عن تفسيرها بشكل علمي، من بين هذه الخرافات: نظرية المؤامرة.

لهذه النظرية مصدران: أوهام الذين فشلوا فى بناء نموذج معرفي متماسك لفهم الواقع وتفسير أحداثه، ومكر الذين يستخدمون العنف الرمزي والمعرفة فى حروب الوعى لترويض الاستعدادات على الخوف والخضوع والتبعية. والمصدران يتبادلان الاعتماد؛ لأن العنف الرمزي الذي تمارسه "نظرية المؤامرة" لا يعمل بفعالية إلا بتواطؤ مع استعدادات الذين يعتقدون فى صحتها. إن الفيروسات لا تشتغل ذاتيا وإنما عن طريق حاملها؛ لأن الفيروسات فى العادة تكون على شكل ملف تنفيذي وهذا النوع من الملفات عند نزوله في الجسد لا يعمل حتى يقوم صاحب الجسد بتشغيله. أما النتيجة فهى فى الحالتين واحدة: الاستخدام الماكر للعنف الرمزي والمعرفة فى الصراع لتدمير أهم قلاع المواجهة: الوعى والإرادة. وهكذا يصبح المغلوب رهينة مرتين: للجهل باللعبة وللخوف من اللاعبين الكبار في نفس الوقت.

لسنا بحاجة إلى افتراض وجود "مؤامرات" لفهم اللعبة، لأن العلم وَفَّر لنا من أدوات فهم اللعبة ما يغنينا عن مثل هذه الافتراضات الخاطئة والخطيرة. الحياة باختصار وفى كلمة واحدة لعبة، واللعبة صراع، وفى كل صراع يوجد لاعبون كبار ومُتَحَدّون وتابعون، ولكل لاعب مشاريعه واستراتيجياته فى المواجهة، واللاعبون الكبار لا يكتفون فى العادة بالهيمنة المادية، وإنما يزاوجون بينها وبين الهيمنة الرمزية باستخدام استراتيجيات العنف الرمزي وحروب المعرفة وحروب الوعي في الصراع لترويض استعدادات باقى الفاعلين فى الحقل على المزيد من الخضوع والتبعية. هكذا يهيمن المهيمنون ويخضع الخاضعون. إن وهم "المؤامرة" ليس سوى افتراض خاطئ (لأنه يعبر عن جهل بطبيعة اللعبة) وخطير (لأنه يعزز خضوع الخاضعين وهيمنة المهيمنين فى الصراع)، هدفه ونتيجته ارتهان العقل والإرادة، ولا ينبغى لنا أن نكون على درجة عالية جداً من بلادة الفهم فنرفع استراتيجيات عادية ومعلومة في المواجهة إلى مرتبة مؤامرات.

لنفهم اللعبة

دعونا أولا نتساءل: ما اللعبة؟

اللعبة وضعيات (بعضها داخل الملعب وبعضها خارجه) يقوم فيها فاعلون باختيارات وهم مُدركون أن نتيجة اختياراتهم تعتمد على نتيجة اختيارات فاعلين آخرين.. هنا بالضبط تكمن حقيقة اللعبة.. في تفاعل وتشابك اختيارات الفاعلين وهم يسعون لتحقيق رهانهم فى اللعبة! أن تلعب معناه أن تتشابك وتتواجه وتتدافع وتتصارع اختياراتك مع اختيارات الفاعلين الآخرين فى اللعبة.. و"الأفضل" يفوز بالرهان!

وللعبة قواعد، هى ما يفرضه الكبار، وينافس عليه المتحدي، ويحميه الوكلاء، وينفذه بكل محبة الطيبون، ويسايره التابعون، ويعتقد فى أبديته الساذجون، ويكرسه حراس المعبد في شكل أعراف وقوانين.

والألعاب ثلاث: ألعاب الكبار وألعاب الأغبياء وألعاب الوكلاء. الألعاب بالأصل هى ألعاب الكبار، لكن يتواجه فيها الأغبياء والوكلاء، وهى أيضا ألعاب الأغنياء التى يتواجه فيها الفقراء.

ألعاب الكبار نوعان: ألعاب الرائد للحفاظ على ريادته وسلطته، وألعاب المتحدي لقلب موازين القوة وتغيير قواعد اللعب، أما الوكلاء والأغبياء فلا عزاء لهم!

وللألعاب صُنّاع، يصنعون الحماس والشغف والفرجة والمتعة والأمل والنصر، كما يصنعون، عند الحاجة والضرورة، الهزيمة والخوف والوهم وكل الشرور التى يقتضيها تحقيق مصالحهم وحمايتها. مثلا صناع الألعاب يعرفون جيداً أن اللاعب قد ينفجر بردود فعل عنيفة عندما يفقد الأمل، لذلك تجدهم جادين في صناعة الأمل.

التحليل الاجتماعي للعبة

يجب اعتبار نظرية الألعاب فرع من علم الاجتماع لا فرع من الرياضيات التطبيقية، ودراسة الألعاب الاستراتيجية من منظور اجتماعى حى لا من منظور رياضى تقني، وذلك لاعتبارات متعددة أهمها:

- التحليلات الرياضية هي تحليلات تقنية، قد تفيد نظرياً وصورياً فى تحديد وحصر الخيارات والبدائل المختلفة، لكن فائدتها قليلة عندما يتعلق الأمر ببناء استراتيجية اجتماعية لمواجهة اجتماعية فى حقل اجتماعي ضد فاعلين اجتماعيين.

- وحتى لو نجحنا فى وضع أفضل استراتيجية للمواجهة باستخدام التحليلات الرياضية لنظرية الألعاب، فإن تنزيل هذه الاستراتيجية غير ممكن إلا من طرف فاعل يملك استعدادات اجتماعية للمواجهة، ويتموقع داخل حقل اجتماعى للمواجهة. إن الاستراتيجية هى سلسلة من الممارسات الاجتماعية، التى تنتمى لحقل اجتماعي، ويقوم بها فاعل اجتماعي، يملك

استعدادات اجتماعية، أما الرياضيات التطبيقية وحسابات فاعليها "العقلانيين" فمجرد خدمة يقدمها التقنوقراط لتعزيز هيمنة المهيمنين وخضوع الخاضعين. إن الواقع الاجتماعى تحكمه قوانين الصراع الاجتماعي لا قوانين الرياضيات التطبيقية.

- إن الألعاب الاستراتيجية هى ألعاب اجتماعية، قائمة على تضارب مصالح اجتماعية، بين لاعبين يخضعون لقوانين اجتماعية، ويتخذون قرارات مشروطة بتنشئة اجتماعية، وبظروف اجتماعية. خُلق المهيمنون مثلا لصناعة الألعاب، وخلق الخاضعون للعبها!

- إن حالات تضارب المصالح الذي هو أساس أي تحليل رياضى ويستهدف الوصول إلى أفضل الخيارات الممكنة لاتخاذ قرارات "عقلانية"، هى فى النهاية حالات تضارب مصالح طبقات اجتماعية، بعضها مسلح بالوعي الطبقي والأدوات الفعالة للحرب الطبقية (التى يقودها الأغنياء ضد الفقراء، والمهيمنون ضد الخاضعين)،

والبعض الآخر مجرد من أي سلاح فعال للمواجهة إلا ما كان من آمال مجنحة وتفكير إيجابى أو حقد طبقى يستنزف ما بقى من الذات المسحوقة أصلاً.

- إن عقلانية اللاعبين محدودة بالشروط الاجتماعية لوجودهم ولإعادة إنتاج وجودهم، وبالتالى لا وجود لفاعل عقلانى يملك القدرة على القيام بعمليات حسابية عقلانية لاتخاذ أفضل القرارات العقلانية. إن ما يبدو على أنه سلوك عقلانى للاّعب إنما هو أفضل خيار أتاحته ظروفه الاجتماعية، أو هو مجرد سلوك آلى وفق البرمجة الاجتماعية التي خضع لها اللاِعب.

- ومن جوانب قصور نظرية الألعاب الرياضية أيضاً أنها لا تهتم بمشاريع اللاعبين ودوافعهم، وإنما بقوانين تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح، وإلحاق نفس القدر من الخسارة بالخصم. إن معرفة استراتيجيات اللاّعبين لا تكفي، إذ لابد من معرفة مشاريعهم ودوافعهم أيضاً.

علينا إذن أن ندرس الألعاب الاستراتيجية من منظور اجتماعى، والنظرية الاجتماعية هى العلم الذي يقوم بذلك ويحرض عليه ويمنح الملاذ الآمن لمن أراد أن يعرف كيف يبنى مشروعه واستراتيجيته وقراراته بالشكل الذي يضمن المصالح التي يدافع عنها، هذا إن كانت له مصالح، فالطيبون لا يملكون مصالح وإنما نوايا حسنة.

الاقتصاد السياسي للعبة

استمتعنا بالنهائي فعلا، لكن كما تقتضيه أصول الصناعة ومصالح الكبار.. هنا بالضبط يكمن إبداع صناع الألعاب!

كرة القدم اقتصاد سياسى هدفه الربح، لا لعبة رياضية هدفها المتعة.. صناعة بكل ما تحمل الكلمة من معنى:

- يُتوقع أن يسجل سوق كرة القدم معدل نمو سنوي مركب قدره 3.8٪ خلال فترة (2022 – 2027).
- حجم سوق كرة القدم العالمى بلغ 3.02 مليار دولار فى 2021، ويتوقع وصوله إلى 3.87 مليار دولار بحلول 2027.
- من المتوقع أن يصل حجم سوق التكنولوجيا الرياضية (وحدها) على المستوى العالمى إلى 40.2 مليار دولار في عام 2026.
- بلغت أرباح المونديال الأخير 7,5 مليار دولار.

إنها شبكة واسعة وضخمة من الصناعات المتكاملة، حولها رهانات ومصالح الشركات الرأسمالية العالمية: بناء الملاعب وتوفير التجهيزات والمعدات والاستضافات والتكنولوجيات والإعلانات وأسواق السماسرة والبث الرياضي وكافة عناصر الدورة الاقتصادية المرتبطة بصناعة كرة القدم.

وكرة القدم ليست صناعة اقتصادية فقط، بل تمتد تأثيراتها وعوائدها إلى الكثير من المجالات السياسية والاجتماعية مثل الاستغلال السياسي وصناعة القوة الناعمة والهوية ومجموعات الألتراس. لنتأمل الأمثلة الآتية لفهم هذه الحقيقة:

- فى إيطاليا العداء بين إيه سى ميلان وإنتر ميلان هو عداء سياسي بين اليمين الذي يمثله إيه سي ميلان واليسار الذي يمثله إنتر ميلان.
- فى المملكة المتحدة كان جلاسقو سلتيك حاضنة تنظيمية لأنصار التحرير الأيرلندي ومحل تآزر الأقلية الكاثوليكية في مدينة أغلبها بروتستانت.

- في إسبانيا يمثل نادي برشلونه رمز القومية الكاتالونية فى حين يمثل ريال مدريد رمز الملكية والقومية الإسبانية.

صناعة هى كرة القدم، لكنها صناعة ماكرة: فى هذه الصناعة البعض يساهم بالبيض، والبعض يكسره، وفئة ثالثة تأكل الأومليت وتقدم المناديل النظيفة للفئتين الأولى والثانية ليمسحوا أفواههم من السراب الذي يُخَيِّلُه "اللعب النظيف" لأعينهم.

أما المستفيدون من عوائد هذه الصناعة فهم الكبار، وللمستضعفين سفراء النوايا الحسنة الأفراح والمسرات!

التحليل المالي للعبة

تعتبر كرة القدم أحد المجالات التي تتجلى فيها خصائص اللعبة المالية وقواعدها بشكل كامل وواضح: رأسمال عالمى يملك الأندية الغنية يفرض قواعده عليها، والأندية الغنية بدورها تفرض قواعدها على الأندية الفقيرة التي تقوم بأدوار هامشية أو تشتغل كوكلاء. وكأي لعبة هناك مشاريع، واستراتيجيات، وحواجز عند الدخول والخروج، وقواعد للعب، ورهانات مالية واقتصادية وسياسية تعطى للعب معناه واتجاهه.. إنه اللعب المالي غير النظيف الذي تمارسه وتشرع له الاتحادات والأندية الغنية بالتواطؤ "المشروع" مع الرأسمال. وبين الفينة والأخرى يقوم الفيفا والاتحاد الأوروبى لكرة القدم بإجراء "فحص دقيق" فى قواعد اللعب المالي النظيف في أعقاب الصفقات الكبرى التي تبرم فى فترة الانتقالات الصيفية واتخاذ "قرارات سريعة" من أجل إبطاء الخلل المتزايد بين الأندية الغنية والفقيرة، مع الاعتراف فى تصريحاتهم الإعلامية أنه لا يمكن إيقاف ظاهرة الخلل المتزايد بين الأندية الغنية والأندية الفقيرة بشكل كامل.. يا سلام على الواقعية!

هل نحتاج إلى ذكاء خارق لندرك أن أحد أهم أهداف الرأسمال هو تعميق الخلل المتزايد بين الأغنياء والفقراء!؟

أن نكون أغبياء ونعشق كرة القدم ونتحمس لإثارتها ومتعتها هذا نعترف به، لكن لسنا أغبياء لدرجة تصديق أن الرأسمال والاتحادات والأندية الغنية تسعى جادة لإبطال التفاوت الحاد الموجود بينها وبين الاتحادات والأندية الفقيرة، لأن هذا الخلل هو جوهر اللعب المالى غير النظيف الذي تقوم عليه اللعبة.

إن قرارات التغيير السريعة وإجراءات التغيير ذات الطابع الشكلى والتشغيلى ليست عديمة التأثير على جوهر اللعبة فقط، بل تعتبر ضرورة تكتيكية لحراسة اللعبة وحمايتها من أي تهديد يمكن أن يطال قواعدها. إذا أردت أن تستديم لعبة ما غَيِّر كل شيء إلا قواعد لعبها.

ربما يكون من المفيد وضع سقف لرواتب اللاعبين لضمان حد أدنى من اللعب المالى النظيف. ربما يكون لصيغة فى إعادة توزيع الأموال الطائلة التى تحصل عليها الأندية الغنية من العقود الضخمة لبيع حقوق البث التليفزيوني للمباريات فائدة في ضمان حد أدنى من تكافؤ

الفرص بين الأندية، لكن ستبقى اللعبة المالية غير عادلة بمثل هذه القرارات والإجراءات ما لم نفهم أن قواعد اللعب كالاستعدادات ترتبط بمشاريع وبرامج واستراتيجيات شمولية ولا يمكن مواجهتها بإضافة طبقة رقيقة من القرارات والإجراءات التشغيلية فوقها.

لا يمكن لامبراطورية للعب المالي غير النظيف قائمة بمشاريع واستراتيجيات شمولية وذكية أن تتحول إلى مدينة فاضلة للعب المالي النظيف إلا من خلال مشاريع واستراتيجيات شمولية وذكية مضادة. لا يَفُلُّ الحديد إلا الحديد.

البيزنيس المتوحش B2X

كرة القدم، وكأس العالم خاصة، بيزنيس عالمي، لكن للرأسمالية العالمية المتوحشة وشركاتها "العابرة للقارات والأجيال" وليس للاعبين الدوليين والأندية العالمية والاتحادات القارية والفيفا. لنقل إنه بيزنيس من نوع «B2X» (التعبير من عندي ولا وجود له بالأصل، وأقصد به مجموع الأنشطة التى تقوم بها شركات وأندية واتحادات لصالح جهات مجهولة بالمعنى الرياضى (من الرياضيات) للكلمة - it's an x to be determined - المتغير المجهول يمكن تحديده بمجهود تحليلي).

إن ما تحققه أغنى وأشهر الأندية العالمية هو مجرد بيزنيس متواضع أمام ما تحققه الرأسمالية العالمية من خلال شركاتها العالمية المرتبطة بصناعة كرة القدم كشركات التأمين والإعلانات والتكنولوجيا والوجبات السريعة والمشروبات الغازية!

صحيح أن أندية كرة القدم العالمية عمالقة على المستوى الكروي والإعلامى، لكنهم أقزام على المستوى الاقتصادي والمالي بالمقارنة مع الشركات

الرأسمالية الكبرى التي تجني الأرباح الفلكية مقارنة مع أرباح الأندية (الأزمة المالية لنادي برشلونة دليل)، والرأسمالية العالمية المتوحشة عندما تحرص على فوز الأندية والمنتخبات "الكبرى" (بحق وبدون حق) فهى لا تفعل ذلك من أجل سواد أعين هذه الأندية والمنتخبات الكبرى ودولها وإنما من أجل مصالحها، لأن الأرباح الفلكية والمصالح الأخرى المرتبطة بها لا يمكن أن تتحقق مع الأندية الصغيرة ومنتخبات الدول الفقيرة حتى لو نجحت في تحدي الكبار! ولذلك تجد انتصارات "الصغار" في الأدوار التمهيدية وغير المتقدمة لا تزعج أحداً، لكن فى الأدوار النهائية تُزعج لأنها تهدد مصالح "الكبار"، لا لأنها تُغَيِّر الموازين وتبعثر القيمة السوقية للاعبين والأندية والمنتخبات وتفقد الفيفا ومنتخبات الدول الكبرى ولاعبيها عائدات مالية ضخمة، وإنما لأن الرأسمالية العالمية المتوحشة وشركاتها العالمية ستتضرر.

تأملوا، للمزيد من الفهم لهذه الحقيقة، الفرق بين الشركات العالمية والأندية العالمية: الشركات العالمية تستمر فى تضخيم مبيعاتها وأرباحها إلى ما لا نهاية دون التوقف عند سقف أداء، أما الأندية العالمية فلا تُضَخِّم

في الواقع سوى جماهيرها وسجل انتصاراتها وحشود المتفرجين فى مدرجاتها دون أن يوازي هذا التضخم ما يقابله من الأرباح بنفس الأرقام الفلكية لأرباح الشركات العالمية.

إن مداخيل الوكلاء من حراس المعبد وعفاريت ماكسويل التى تحرس الجدار العازل بين عالمى الرائد والمتحدي وتتحكم فى فتحه وإغلاقه، بدءاً من الفيفا والاتحادات القوية والأندية الكبرى واللاعبين الكبار متواضعة مقارنة مع مداخيل شركات الرأسمالية العالمية المُستفيدة من اللعبة.. ما قيمة رسوم انتقال اللاعبين وحقوق نقل المباريات وإيرادات بيع التذاكر وتسويق البضائع والرعايات المشتركة أمام ملايير العوائد والأرباح الفلكية المباشرة وغير المباشرة للرأسمال العالمي المرتبط بصناعة كرة القدم.

كيمياء اللعبة

اللعبة هي ساحة للمواجهة لتغيير موازين القوى أو المحافظة عليها، لكن للعبة وجه آخر فى الاعتبار، إنها أيضا ساحة مقدسة لتحويل الأنظار عن المواجهة إلى مجرد استعراض استهلاكى شبيه بحلقات الجذب الصوفى أو علاقات العشق الغرامي، حيث يغرق الطيبون في دفئ مشاعرهم المجنحة ونشوة أوهامهم الشخصية.

إن تحويل الأنظار عن المواجهة شرط لكسب المواجهة، وتوريط اللاعبين الطيبين فى نشوة عشق اللعبة شرط لازم لنجاح الذين يلعبون لكسب الرهان لا للعشق. ويبلغ الربح مداه وحدوده القصوى عندما يتم تحويل الانخراط فى اللعبة من فيزياء المواجهة إلى كيمياء العشق، ويكون التحويل بالجملة لا بالتقسيط باستخدام التحريض الإعلامي، لأن الحب الفردي لا يكفي لضمان انخراط الجميع فى اللعبة بروح العشق، لا بد من تحريض إعلامي.

وهكذا أشغلتنا اللعبة وأمتعتنا، بمشاهدها الجنونية، وقدرة روادها على تحويل حدث إلى أسطورة

انشغلنا بها عن المواجهة. وبدل أن نجعل من اللعبة فرصة للتحدي وساحة للمواجهة، ونواجه لأجل تغيير قواعد اللعب غير النظيف، انخرطنا بتحريض إعلامى جنونى فى اللعبة من جانبها العاطفى فإذا بنا فى حلقة للجذب الصوفي لا في ميدان للمواجهة.

إنه لا شىء أفضل من اللعبة لتحويل الأنظار عن اللعبة؛ فبهذه الطريقة لن يفكر أحد فى اللعبة (بمعنى المواجهة لتغيير قواعد اللعب) لأنه يلعب اللعبة (بالمعنى الاستعراض الاستهلاكي). في سنة 2010 تظاهر نحو مليون كتالونى مطالبين بالاستقلال عن إسبانيا، ولكنهم تظاهروا بعد أيام مرة أخرى محتفلين بفوز إسبانيا بكأس العالم.

ولأن اللعب جدّه جدّ وهزله جدّ، لم يكن بالإمكان التسامح مع الذين يحاولون تحويل اللعبة من ساحة للاستعراض إلى ساحة للمواجهة، ومع الذين يحتجون على اللعب غير النظيف. كان لابد من معاقبتهم، لأن المهيمنين جادون في الحفاظ على قواعد اللعب غير النظيف وعلى هيمنتهم من خلالها. إن اللعبة جدّ، ولا يمكن التسامح مع أي تشكيك في ديمقراطيتها، أو تهديد

يطال قواعدها، أو رغبة جانحة تطالب بقواعد عادلة ومنصفة ولعب نظيف، أو سعى إلى أن تسقى اللاعبين بروح المواجهة كأسَ الوعى والإرادة، بدل أن تسقيهم بشغف اللعبة كأسَ الوهم!

اللاعبون الحقيقيون

اللاعبون هم الأندية أو المنتخبات والجمهور لكن داخل الملعب فقط، أما اللاعبون الحقيقيون فيوجدون خارج الملعب لا داخله، وهم بالضبط الأثرياء وشركات الرأسمالية العالمية الذين يُمَوِّلون ويتربحون من تمويلهم أرقاما فلكية، ووكلاءهم من الاتحادات والأندية وخاصة كبيرهم الذي يُعلمهم السحر "الفيفا"، مع فرق واضح وشاسع بين الفئتين: فئة تُوَظّف الرأسمال وتجنى من توظيفه أرباحاً فلكية ولا يهمها التشغيل الاقتصادي «للشركة» ولا القيمة المقدمة، وفئة ثانية تخدم مصالح الفئة الأولى وتعمل على قضاء مصالحها الشخصية فى نفس الوقت ثم ترحل بسلام دون خوف عليهم ولا هم يحزنون، ما لم يسقطوا ضحية أخطاء أو صراعات كما سقط جوزيف بلاتير وميشال بلاتيني وجيروم فالك.

اللاعبون ثلاثة: رائد ومتحدي وتابع، لكن فى الألعاب الاستراتيجية لا وجود إلا لرائد أو متحدي؛ الرائد هو من يصنع اللعبة ويفرض قواعد اللعب، والمتحدي هو من يسعى إلى تغيير قواعد اللعب أو إلى صناعة لعبة جديدة، أما التابعون فلا عزاء لهم.

في كرة القدم الرواد الحقيقيون ليسوا من الرياضة فى شىء، يلعبون لعبة أخرى بعيدة كل البعد عن الميادين ومتعتها، وهؤلاء الرواد لا يمكن هزيمتهم فى الغالب! تستطيع أحياناً هزيمة فريق أغنى منك لكن لا تستطيع هزيمة الرأسمالية العالمية التي تملك اللاعب والملعب واللعبة، وليس صحيحاً ما قاله الأسطورة يوهان كرويف يوماً "أن حقائب الأوراق النقدية لا تسجّل أهدفاً"، لأن المال شرط ضروري للفوز بل فى كثير من الأحيان يكون شرطاً كافياً للفوز!

هكذا تحوّلت الساحرة المستديرة من لعبة رياضية ممتعة إلى لعبة كبار قائمة على تقسيم هرمى للفاعلين: المُمَوّل والوكيل واللاعب.. فى أسفل الهرم فئة طيّبة تساهم بالبيض، وفي وسطه فئة ثانية تكسره، أما الفئة الثالثة فتأكل الأومليت فى قمة الهرم وتقدم المناديل النظيفة للفئتين الأولى والثانية ليمسحوا أفواههم من السراب الذي تُخَيِّلُه الانتصارات واللعب النظيف لأعينهم.

آن الأوان لنفهم أن الرهان في اللعبة ليس هو الكرة. لو كان الرهان هو الكرة لكفانا شراء 11 كرة للاعبينا بدل

تركهم يركضون ويلهثون وراء كرة واحدة فقط وينافسهم عليها خصم عنيد!

الرهان من جهة اللاعبين الكبار هو مصالح الرأسمالية العالمية، ولأنها مفترسة لكل شيء لم يتبقى للمستضعفين شيء إلا البحث عن "نصر" نفسي معنوي مؤقت في لعبة تبدو في نظرهم آخر ما تبقى من ألعاب عادلة يخضع الجميع فيها بالتساوي لقانون كوني واحد، لكن ينسون أن حتى هذه اللعبة لا تتساوى فيها الشعوب في الخضوع لقوانين احتساب الهدف والخطأ وضربة الجزاء.

الرائد والمتحدي

قبل مباراة "الرائد والمتحدي" بيوم كتبت على صفحتى بالفيسبوك ما يلى: التاريخ المعاصر يعطينا درساً مهما يجب ألا ننساه: القوى العظمى فازت وتحاول أن تفوز دائماً باستخدام أساليب المكر والخداع!

هذا ما يمكن أن تكشف عنه الأدوات التحليلية لأي "قارئ فنجان"، والأمر ليس توقعاً خارقاً ولا يحتاج إلى عبقرية لإدراكه، لأن المسألة واضحة ومفضوحة.

المسألة واضحة أولا لأن الدول الكبرى (وهى كبيرة بمكرها) لها سوابق في "اللعب غير النظيف"، وأصحاب السوابق لا ثقة فيهم.

والمسألة واضحة ثانياً لأن التاريخ يُعيد نفسه دائماً؛ فالماكرون يميلون إلى إعادة استخدام نفس الاستراتيجيات الماكرة التي ثَبَتَ نجاحها عندهم وتساعدهم على استدامة انتصاراتهم وهيمنتهم، وبالتالى لا يمكن "نديرو النية" إلا مع الله لا مع الماكرين!

والمسألة واضحة ثالثاً لأن كرة القدم ليست رياضة ولا حتى ميدان بيزنيس للاعبين والأندية كما قد يعتقد الكثيرون، إنما هى لعبة تسود فيها مصالح الكبار ويتحدث فيها الرأسمال العالمى، وهى من ألعاب الكبار حصراً ولا يسمح لغير الكبار بلعب نهاياتها الحقيقية التي تُلعب خارج الملعب!

والمسألة واضحة رابعاً لأن فى لعبة كأس العالم لا توجد إلا نوعين من الألعاب: ألعاب الكبار فيما بينهم، وألعاب ترويض المتحدي ليصبح وكيلا يقبل باللعبة ويساهم في حمايتها أو يتم إقصاؤه خارج اللعبة!

والمسألة واضحة أخيراً لأن بطولة كأس العالم ليست مناسبة للصداقة والألفة والمحبة والسلام والتنوع والتعارف والتفاهم والتعاون والتلاحم والخذ لك نَفَس لجعل العالم مكانا أفضل! هذه القيم الإنسانية السامية لا يُدرك معانيها بعمق ولا يعيش مشاعرها بصدق إلا اللاعبون داخل الملعب وجماهير الأنصار والمتفرجون والمتابعون والشعوب الذين يراهنون بعفوية صادقة على فخر أنديتهم ومنتخباتهم وأممهم التى يشجعونها، أما بالنسبة للاعبين الحقيقيين، وهم خارج

الملعب لا داخله، فكُرة القدم عندهم لعبة مصالح وكأس العالم بيزنيس عالمي.

المركز والمحيط

هل لا زلنا بحاجة إلى المزيد من البيان أم أن صورة الرأسمالية العالمية المُفترسة للُعبة كرة القدم، كما لغيرها من الألعاب، أصبحت واضحة!

حيثما وليت وجهك تجد تراكماً وتركيزاً للسلطة والمال والألقاب من جهة الكبار، وظُلماً بالاستبعاد والإقصاء وقواعد اللعب غير النظيف ضد المستضعفين.

إنها لعبة المركز والمحيط، لكن أين المركز وأين المحيط؟ هل المركز هو الغرب والمحيط هو بقية العالم، أم المركز هو دول الشمال والمحيط هو دول الجنوب، أم المركز هو الحقل المالي والمحيط هو بقية الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأكاديمية والإعلامية والفنية والرياضية وغيرها، أم المركز هو تكتل سياسي اقتصادي اجتماعي عابر للدول والأمم والأديان والمحيط هو بقية شعوب الأرض المستضعفة؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من فهم وتحليل تحولات الرأسمال المتعددة.

للرأسمال تاريخ، وتاريخه هو تاريخ التركيز الرأسمالي بأشكاله المختلفة:

- **التركيز المالي**: من الرأسمال الاقتصادي الذي يبحث عن التشغيل إلى الرأسمال المالى الذي يهمه الربح فقط.
- **التركيز الشمولي**: من الرأسمال المادي (الاقتصادي والمالى) إلى الرأسمال الشمولى (الميتا-رأسمال) الذي يجمع بين الرساميل المادية والرمزية ويتحكم في كل أنواع الرساميل الأخرى.
- **التركيز العالمي**: من التراكم الأولى على صعيد الدول إلى التراكم العالمي المفترس لكل شيء.
- **تركيز التركيز**: حيث بلغ التركيز مستويات قياسية أصبح معها قانون باريتو متجاوزاً (20% مركز و 80% محيط). وأحد المؤشرات التى تدل على بلوغ هذا التركيز مستويات قياسية هو تحوّل أندية كرة القدم من ملكية شركات عالمية كبرى إلى ملكية أفراد من أغنياء العالم.

هكذا تطور الرأسمال بالتركيز المالي والشمولي والعالمى والفردي ليصبح شبحاً يَتَلَبَّس الأجساد الجماعية للأمم والألعاب.. لا اسم له ولا وجه له ولا منصب له ولا منتخب له، ورغم كل ذلك هو من يفوز دائماً!

إن هذه العولمة في حقيقتها ليست سوى عولمة الرأسمال واحتكاره وتركيزه، وهذا الارتباط المتبادل لاقتصاديات العالم فى حقيقته ليس سوى ارتباط وتبعية المحيط للمركز، وكرة القدم أوضح مثال على ذلك.

إن "لعبة" كرة القدم في دول العالم الثالث لا ينبغي اعتبارها كرة مستقلة بل هى جزء من منظومة كرة القدم العالمية، التى هى بدورها جزء من الاقتصاد العالمى الرأسمالى؛ ففى كرة القدم العالمية تشكل أندية ومنتخبات دول العالم الثالث محيطاً تابعاً للمركز، وهي مجبرة على الخضوع لقواعد "اللعب غير النظيف" بقبول تصنيفات الفيفا ومعاييرها وقواعدها وتصدير أفضل اللاعبين للمركز واستيراد المدربين منه بشكل مستمر لخدمة متطلبات استمرارية هيمنة المركز. وهذا المركز الكروي مجبر بدوره على الخضوع للجهات المُمَوِّلة والراعية أي للرأسمال العالمي.

النتيجة: منظومة رأسمالية عالمية متوحشة مفترسة لكل شىء؛ للُعبة واللاعب والملعب.. للعبد والمعبود والمعبد. خذ لك أمثلة من مجالات متعددة ومختلفة لتكتمل عندك الصورة:

- المراكز التجارية الضخمة افترست الأسواق التقليدية.
- دور النشر العالمية تحدد للبشرية ما يجب قراءته.
- شركات الوجبات السريعة والمشروبات الغازية العالمية تحدد للبشرية ما يجب أكله.
- شركات الأزياء العالمية تحدد للبشرية ما يجب لبسه.
- الأندية العالمية الكبرى وهى مملوكة للرأسمال العالمي تفترس حقوق ولاعبي الأندية الصغيرة.
- منتخبات دول العالم الأول تفترس حقوق ولاعبي منتخبات دول العالم الثالث.
- المقاعد الممنوحة لكل اتحاد قاري فى كأس العالم لا تقوم على أي معيار عادل؛ لأوروبا

وأمريكا الشمالية 17 مقعدا، ولبقية العالم 15 مقعد!

حيثما وليت وجهك تجد المزيد من الأمثلة.. إنها لعبة المركز والمحيط؛ الكبار بألعابهم فى المركز يفترسون كل شيء، والمستضعفين بأحلامهم في المحيط يلهثون وراء السراب، والأماكن كلها تجد فيها تقسيماً طبقياً للأدوار: المحيط يساهم باللاعبين، والوكلاء ينظمون اللعبة ويحرسون "قواعد اللعب غير النظيف"، والمركز يفترس كل شيء، ودامت ديار المستضعفين عامرة بالأفراح والمسرات!

الأَجَمَة والمدينة الفاضلة

الأَجَمَة مملكة القوة، والمدينة الفاضلة مملكة الحق، والواقع مزيج منهما بمقادير متفاوتة.. يُسيطر الكبار بألعابهم على كل شيء، ويتعلق المستضعفون بخيالهم بأي شيء!

تحكم الأَجَمَة قوانين فيزياء الألعاب الاستراتيجية، وتحكم المدينة الفاضلة قوانين كيمياء النوايا الحسنة.. أما من أعياهم جَلَد الماكرين وعجز الطيبين فقد قدّموا "دون كيشوت" فى صمت ولسان حالهم يقول: هذه هى كلماتنا الأخيرة بأكثر أنواع السخرية التي يمكن للإنسان التعبير عنها بمرارة، وهذه هى خلاصة حياتنا. دون كيشوت هرم فى حفظ وفهم دروس العود الأبدي لنفس تجارب المكر لسكان الأَجَمَة، ونفس تجارب الطيبة لسكان المدينة الفاضلة.

إن الحق يحتاج إلى قوة تحميه لكن أصحاب الحق يفشلون غالبا فى تأمينها، والقوة تحتاج إلى حق يمنحها الشرعية وأصحاب القوة ينجحون غالبا فى إضفاء الشرعية على قوتهم. هكذا يبني سكان الأَجَمَة مشروعيتهم

وتبقى مشروعية سكان المدينة الفاضلة بدون قيمة في ميزان الواقع.

وعندما ينتفض الطيبون لتغيير واقعهم يرفعون شعارين: شعار "التغيير يبدأ من الداخل" كمبدأ لبناء المدينة الفاضلة، وشعار "التغيير من الداخل" كمبدأ لترويض سكان الأَجَمَة، لكنهم يفشلون غالبا فى المهمتين؛ يفشلون فى المهمة الأولى لأن التغيير يبدأ من الداخل ومن الخارج ومن فوق ومن تحت ومن كل الاتجاهات فى نفس الوقت، ويفشلون في المهمة الثانية لأن الوحوش لا تُرَوَّض في الأَجَمَة.

لا تُرَوَّض الوحوش فى الأَجَمَة، ومع ذلك تبدأ دائما قصص العود الأبدي لتجارب الفشل بحلم: "التغيير من الداخل"، وادعاء إمكانية ترويض سكان الأَجَمَة في الأَجَمَة.. فى الأَجَمَة لا تُرَوَّض الوحوش وإنما تَتَوَحّش النوايا الطيبة أو تُهْزَم.

للمستضعفين أن يستمروا فى أحلامهم كما يشاؤون، فهذا حقهم، أما ألعاب الكبار فميراث خاص؛ خُلق الكبار للافتراس، وخلق الوكلاء لحراسة المعبد، وخلق

الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة، وخلق الأكباش للأضحية.. كان الله للمستضعفين!

قواعد اللعب

للمونديال دروس كثيرة، أحدها أنه ذكّرنا بأن للعبة قواعد يجب ألا ننساها فى غمرة مشاعرنا الإيجابية والسلبية المصاحبة للحدث، وهذه أهمها:

1. قواعد اللعب هدفها الحفاظ على هيمنة الكبار.
2. تحدي الكبار هدفه تغيير قواعد اللعب وحجز مكان ضمن الكبار.
3. من الغباء الدخول فى لعبة بدون إرادة الانتصار فيها.
4. في اللعبة، يجب أن تكون المواجهة مع الكبار لا مع الوكلاء.
5. اللعبة نصفها يجري في الملعب ونصفها خارجه.
6. العنف والمكر والمال هى أهم الأسلحة فى اللعب غير النظيف.
7. لا تستطيع الإنسانية أن تضع حداً للعب غير النظيف لأن الغريزة أقوى من العقل، ودهاء

الثعالب العجوزة أقوى من النوايا الحسنة المتفتحة.

8. لا يستطيع اللعب غير النظيف أن يضع حداً للحق والعدالة لأن غريزة البقاء أقوى من غريزة الهيمنة.

9. الألعاب، كما الحب، نخوضها بأغاني عاطفية!

10. فى الألعاب، كما فى الحياة، لا بد من التحدي والمواجهة!

11. في الألعاب، كما في الحياة، القليل من التردد وعدم التركيز يؤدي إلى الهزيمة!

12. فى الألعاب، كما فى الحياة، لا يحق لك الخطأ مرتين.

13. من ينتصر في اللعبة يأخذ كل شيء.

14. اللعبة لا تجر معها الكثير من الإحباطات والأحزان والآلام إلا للمستضعفين (القاعدة عامة.. اِبحث عن الكبار خارج الملعب)!

15. كل الألعاب غير النظيفة تنتهي بإلقاء كلمات مؤثرة وخطابات جميلة!

16. الألعاب لا تقوم على المواجهة الشريفة أو غير الشريفة فقط، وإنما تقوم على التفاوض أيضاً. وأن تتفاوض وتجلب بعض المكاسب أفضل من أن يتواطؤون عليك ويتفاوضون فى غيابك وتخسر كل شيء!

لعبة غير عادلة

هذا المونديال الناجح بكل المقاييس، المُبهر بكل فعالياته، المُمتع فى كل لحظة من لحظاته، والذي يجب أن نهنئ ونشكر عليه قطر التى وعدت ووفّت بالوعد، ونهنئ أنفسنا كذلك كدول عالم ثالث وشعوب مستضعفة على الصورة الرائعة والإيجابية التي ظهرنا بها للعالم، يجب ألا يُنسينا أن لعبة كرة القدم تشبه جانوس (بطل أسطوري بوجهين) لها وجه آخر غير ممتع وهو الأهم .

كرة القدم كالقمر نرى الجانب المضيئ منها ونستمتع به، لكن يجب ألا ننسى أن هناك جانب خفى فيها، وأن هذا الجانب الذي لا نراه هو جانب "مُظلم" لا تصله أنوار الصداقة والألفة والمحبة والسلام والتنوع والتعارف والتفاهم والتعاون المُعلن عنها.

ويجب ألا يُفهم من هذا أن كرة القدم لعبة اجتماعية وسياسية، كما يعتقد بعض علماء الاجتماع، تتناسب فيها قوة المنتخبات وألقابها مع الناتج الداخلى لدولها، وإنما هي لعبة اقتصادية ومالية تتناسب فيها ألقاب وأرباح

الدول والاتحادات والأندية واللاعبين مع مصالح الرأسمالية العالمية، مع وجود فوارق فلكية فى الأرباح بين مالك المعبد وحراسه!

نعم فوارق فلكية لأن الرأسمالية العالمية عندما تحولت من رأسمالية اقتصادية إلى رأسمالية مالية لم يعد التشغيل الاقتصادي للشركات مهما بالنسبة لها، ولم تعد القيمة المقدمة أيضا مهمة لها إلا فى حدود ما تقدم للرأسمال من أرباح، بل يمكن التضحية بها إذا كان ذلك يخدم تعظيم أرباحها.

عندما أعلن الفيفا أرباحه فى مونديال 2022 (تم تقديرها بـ7.5 مليارات دولار، بزيادة مليار دولار عن مونديال 2018) القلة فقط من انتبه أن الفيفا من الناحية الواقعية هو شركة خاصة وليس منظمة غير ربحية كما يزعم نظامه، وأن المونديال أحد مشاريعها الاستثمارية. وعندما أعلن الفيفا أنه سيوزع 209 ملايين دولار على جميع الأندية التى شارك لاعبوها فى كأس العالم القلة فقط من انتبه أن المالك سيوزع 2,6٪ فقط من الأرباح على الأندية، وأن الأندية العشرة الأولى التى استحوذت على حصة الأسد من أرباح المونديال الموجهة للأندية هي

كلها أندية أوربية. أما إذا أضفنا إلى هذه الصورة الجزء الأخير منها وهو الأهم المتعلق بأرباح شركات الرأسمالية العالمية المتوحشة والمفترسة المرتبطة بصناعة كرة القدم فأهلا بك فى "بؤس العالم" لا "كأس العالم" ! (أتمنى من الذين تزعجهم تحليلاتي وتكسر خواطرهم وتفسد عليهم متعة متابعة اللعبة قراءة كتاب عالم الاجتماع الفرنسى بيار بورديو: "بؤس العالم"، ففصاحته فى وصف ظلم الرأسمالية العالمية المتوحشة أقوى من فصاحتي المتعثرة).

النتيجة: ألعاب غير عادلة فى كل المجالات وعلى كل المستويات، وتفاوتات فلكية فى الفرص والعوائد والاستعدادات والمواقع. إنها النتيجة الطبيعية للاستغلال الرأسمالي البشع عندما يبلغ قمته ونهايته، وعندها تصبح قواعد اللعبة بسيطة: يضع المُهيمِن القواعد ويأخذ كل شىء إذا فاز، وهو الفائز دائما لأن اللعبة أصبحت أكبر منا نحن المستضعفين، وحينها سترى فقراً مُدقعاً من جهة وغنى فاحشاً على الضفة الأخرى، وترى كساداً عظيماً من جهة واحتكاراً مفترساً من الجهة الأخرى.

إن ما أزعجنا وأفجعنا يوم 14 ديسمبر ليس الإقصاء المبرمج بحد ذاته، وإنما قواعد اللعبة غير المنصفة، والتفاوت الحاد فى الفرص، والهيمنة غير العادلة باستخدام السلطة والمال.. إذا رأيت فى كل مرة منتخبات تكاد لا تتجاوز مشاركاتها الحضور المشرف في الدور الأول أو حضورا استثنائيا مستحقا لدور متقدم يتم التواطؤ على وضع حد له، فأهلا بك فى لعبة المركز والمحيط.. المركز المُفترس لكل شىء، والمحيط الذي يتم توظيفه لتأثيث المشهد واستكمال العدد!

اللعب غير النظيف المشروع

القليل من اللعب النظيف مهم ومفيد للعبة، ليس لضمان عدالتها، فالمستضعفون لا عزاء لهم، وإنما لضمان مصداقيتها. فى ألعاب الكبار عدالة اللعبة ونظافتها لا توجد فى قواعدها وإنما فى إيمان اللاعبين بها وفى حماس الجمهور لها!

إنها الأسس النفسية لألعاب الكبار: إيمان اللاعبين وشغف الجمهور باللعبة وتوهم الانتصار والطمع فى الفوز والخوف من الهزيمة.. لولا الإيمان والشغف لما كان لعب، ولولا الخوف لما كان أمر، ولولا التوهم لما كانت مصداقية، ولولا الطمع لما كان ولاء (تسلّح بعين ثالثة وأدوات تحليلية وشاهد فيلم "ألعاب الجوع" فهو يوضح بشكل جيّد كيف تتم صناعة الألعاب)!

هذا حظ بناء المصداقية، أما الأصل في ألعاب الكبار فهو "اللعب غير النظيف المشروع" الذي يُقَدّم على أنه نظيف ولا يحق لأحد أن يشكك فى نظافته، وهو وظيفة خاصة من "العنف المشروع" الذي تمارسه الدولة بشكل عام (من المفيد الرجوع لتحليلات علماء الاجتماع كماكس

فيبر ونوربير إلياس للعنف المشروع لفهم ماذا أقصد بتعبيري "اللعب غير النظيف المشروع").

اللعب غير النظيف المشروع يبدأ قبل انطلاق المباراة ومن خارج الملعب، ويعتمد آليات خفية يصعب على الإنسان العادي الذي لا يمتلك الأدوات التحليلية ملاحظتها وإدراكها، وهذه بعض آلياته:

- قواعد اللعبة
- نظام التصفيات
- اختيار الحكام
- نشر التوقعات
- معايير تصنيف المنتخبات
- معايير تصنيف اللاعبين
- صناعة النجوم
- صناعة الإثارة والمتعة
- عقود الشراكات والرعايات

- قواعد توزيع الأرباح المالية

وإذا لم ينفع أمان الدرجة الأولى قبل اللعب يتم الانتقال اضطراراً إلى أمان الدرجة الثانية أثناء اللعب الذي يعتمد على آليات أقل خفاء ويسهل اكتشافها.. للضرورة أحكام خاصة! وهذه بعض آلياته:

- تحطيم النجوم عند الضرورة!
- أخطاء الحكام، والغريب أنها كانت نادرة قبل نصف النهاية!
- اللاعب رقم 12 المتمثل في حجم الجمهور وحماسه لا في الجمهور بذاته.. في المباراة النهائية لا أحد تساءل كيف استطاعت دولة فقيرة اقتصادياً وبعيدة جغرافياً أن تشارك بستين ألف مشجع، ودولة غنية اقتصادياً وقريبة جغرافياً أن تشارك بسبعة آلاف فقط!

عندما تكون الرهانات والاستثمارات والمصالح الاقتصادية والمالية كبيرة ونوعية، من رأسمالية عالمية ذكية لا تراهن إلا على الأحصنة الرابحة، من قبيل الرهان

على لاعب بعينه وليس على منتخبه بالضرورة، يفرض اللعب بكل أشكاله النظيف وغير النظيف نفسه.

آن الأوان لننتبه أن ألعاب الكبار غير عادلة وغير نظيفة، وأن حظ المستضعفين منها فى هذه الجولة الجديدة من كأس العالم قصة جميلة للعب النظيف كان يجب أن تنتهي في نصف النهاية باللعب غير النظيف!

كأس كبار العالم

لو دققنا في حصيلة كأس العالم عبر تاريخه من جهة الدول التى حظيت بشرف تنظيمه سنجد أنه كأس كبار العالم وليس كأس العالم:

- كان التنظيم من نصيب أوروبا 11 مرة.
- ومن نصيب الأمريكيتين 9 مرات.
- وآسيا مرتين.
- وافريقيا مرة واحدة.

ولو دققنا فى حصيلته من جهة الدول الفائزة به لوجدنا أيضاً كأس كبار العالم وليس كأس العالم:

- كان من نصيب أوروبا 12 مرة.
- ومن نصيب أمريكا اللاتينية 10 مرات.
- ولم تحظ بشرف الفوز به أي دولة من إفريقيا أو آسيا أو أمريكا اللاتينية.

قواعد اللعب غير النظيف مرت من هنا!

وخلال الاثنين والعشرين نسخة السابقة من بطولات كأس العالم لم تفز به إلا 8 دول من أصل 211 دولة عضو في الفيفا، أي بنسبة لا تتجاوز 4%.

من الواضح جداً أنه "كأس كبار العالم" وليس "كأس العالم"! وللمستضعفين شرف المشاركة وتأثيث المشهد واستكمال العدد.

منتخب مستضعفي العالم

من الواضح جداً أنه كأس كبار العالم وليس كأس العالم. ولو دققنا أكثر فى الحصيلة للاحظنا أن كل المنتخبات الأوربية الكبرى حقّقت نجاحاتها بأقدام المستضعفين من إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وأقدام أبنائهم وأحفادهم: فرنسا وألمانيا وإنجلترا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا وهولندا.. هاهنا مظهر آخر من مظاهر اللعب غير النظيف.

لو كانت اللعبة عادلة ونظيفة لمنعت قواعدها تغيير جنسيات اللاعبين الذي لا يستفيد منه إلا الدول الغنية التي تستقطب لاعبي الدول الفقيرة.

ولا يقف الأمر عند هذا الاستغلال فقط بل يتعداه إلى العنصرية المقيتة التى تجعل من كل لاعب أجنبى حامل لإحدى الجنسيات الأوربية مواطنا أوروبيا خالصا يتم الافتخار بإنجازاته وبطولاته فى حال الفوز، ومهاجراً وضيعاً ومتطفلاً يتم التشنيع بإخفاقاته والمطالبة بترحيله فى حال الهزيمة.. إنه نفاق الكبار الذين ينجحون دائما بفضل سرقة جهود المستضعفين مع التنكر لهم.

ماذا لو كانت منتخبات الدول المستضعفة تتقبل فريقا وطنيا مكونا من لاعبين أجانب وتسعى إلى ذلك؟ المؤكد أن قوانين الفيفا لن تسمح بذلك!

الرابحون والخاسرون

الرابحون أولا وأساسا في أي لعبة هم الكبار، والمتحدي أيضاً إذا نجح فى صناعة فرصته التاريخية واستغلالها. أما الخاسرون فهم جيوش المستضعفين.

أما في لعبة المونديال فنجد في قائمة الرابحين:

- أولا وأساسا الشركات العالمية التي توفر التجهيزات والاستضافات والتكنولوجيا والمعدات وسوق إعلانات اللاعبين وأسواق السماسرة والبث الرياضى وكافة الدورة الاقتصادية المرتبطة بصناعة كرة القدم.
- أندية كرة القدم الكبرى التى يلعب فيها اللاعبون المشاركون فى المونديال؛ فالأندية العشرة الأولى التى استحوذت على حصة الأسد من أرباح المونديال الأخير الموجهة للأندية هي كلها أندية أوربية.
- اللاعبون الذين حققوا أداء عاليا وأرقاما قياسية وزادت بالتالي قيمتهم السوقية.

- المنتخبات الوطنية التي حققت أداء عاليا وأرقاما قياسية.
- الحكومات والدول التى وجدت فى المونديال فرصة لإلهاء شعوبها عن مشاكلهم الحقيقية لمدة شهر على الأقل.

وفي قائمة الخاسرين نجد:

- اللاعبون الذين تراجع أداؤهم وانخفضت بالتالي قيمتهم السوقية.
- المنتخبات الوطنية التي تراجع أداؤها.
- المنتخبات المستضعفة التى يتم تأثيث المشهد واستكمال العدد بها.
- شعوب العالم المستضعفة التى ملأت الملاعب والساحات والشوارع أثناء المونديال رقصاً وفرحاً وبهجة لمدة شهر ثم وجدت نفسها بعد هذه الغيبوبة السعيدة تستفيق من جديد لتواجه مشاكلها التي لا تنتهي:

الفقر وغلاء المعيشة والتضخم والبطالة والجهل والمرض...

الحصيلة: منظومة رأسمالية عالمية متوحشة لا تمنح فرصة الربح إلا للكبار أو من يقوم بخدمتهم، وهكذا يفوزون بالمباريات والألقاب والعوائد المالية ونفوز في أحسن الحالات بالقلوب فقط.. ويفوزون بالكأس الذهبية وعوائدها المالية ونفوز بالعالم!

ربما في المونديال الأخير كسبنا بعضاً من الرهان الرمزي عالميا بإلباس ميسي البِشت في حفل توزيع جوائز المونديال، لكن لا يزال أمامنا الكثير مما يجب فعله لتجذير الرهان الرمزي وكسب الرهان المادي أيضاً.

صحيح أن مبيعات البشت تضاعفت 15 مرة بعد ارتداء ميسي له، لكن السؤال هو من المستفيد الأكبر إذا استحضرنا أن البشت يُحاك من خيوط يابانية ويطرز بخيوط ألمانية!؟

إنه عالم الأَجَمَة، اللاعبون فيه أربعة: السباع والذئاب والثعالب والكباش؛ خُلِق السباع للافتراس، وخُلِق الذئاب والثعالب لحراسة المعبد، وخُلِقت الأكباش

للأضحية.. لعلنا بحاجة إلى الدعاء المأثور عن عادل إمام: "اللهم افقرنا واغنيهم.. وخذ منا واديهم.. وشلحنا وغطيهم.. وانفخنا وفسيهم".. شر البلية ما يُضحك!

النية في مواجهة الدهاء

بالفعل "خاصنا نديرو النية"، ولقد "درناها" ورأينا ولله الحمد نتائجها المُبهرة.

"درناها" ورأينا أنها ترجع فى النهاية لصاحبها، فعلى قدر أهل النوايا الطيبة تأتي الأقدار السعيدة، وقد أتت!

وهذه "النية" التي ترجع لصاحبها دائما بالخير عرّفها، في حوار صحفي، مدرب المنتخب المغربي كالآتي:

- إرادة الفوز
- بالقليل من الحظ (أقول القدر)
- والكثير من الإيجابية
- والعمل المثابر
- والقدرة عليه باعتماد أفضل الاختيارات (اعتماد اللاعبين المحترفين والتخطيط التكتيكى الذكى مثلا)
- والتكامل والتعاون (روح العائلة بتعبير المدرب)

- وحب الخير للآخرين
- مع الثقة بالله

هذه هى "النية" فى تعريف عفوي لكن شامل ومتكامل؛ قصد الشىء مقترنا بالفعل، قصد الفوز مقترنا بأسبابه.. وعندما يدير النية الرجال ينصرهم العالي تعالى!

تدير النية أصل، ومقتضاها أن تعزم دائما على اللعب المحترف والنظيف، لكن هل تكفى "النية" إذا كان الخصم "قليل النية"؟ فى المثل المغربى: "النية وقلة النية لا يجتمعان"!

النية أصل، ولا مشكلة لدينا معها من حيث المبدأ، فقد "درناها"، وهذا دين عندنا وليس فقط ثقافة اجتماعية. مشكلتنا فى أن الكبار "دارو النية" أيضاً، وعندما "يدير الكبار النية" فانتظر الساعة!

لفهم هذه المعضلة، معضلة "تعارض النية وقلة النية" علينا أن نتساءل: ما الفرق بين نوايا الكبار فى ألعابهم ونوايا المستضعفين في أحلامهم؟

نوايا الكبار سيئة غالبا، وإذا كانت حسنة فابحث وراءها فتم نية سيئة تخدمها.. على قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب! هى نوايا سيئة بالعادة بدليل أن لعبة أخرى ليست من الرياضة فى شىء كانت تُلعب بعيداً عن الملاعب. أما نوايا المستضعفين فهيِ متفتحة وبريئة وساذجة ببراءة قصدهم وسذاجة فهمهم وتواضع إرادتهم وبساطة قدراتهم، وأوضح مثال ودليل على ذلك التفاعل العالى والبريء والمنفتح بين ممثلى شعوب العالم الذين ملؤوا الملاعب والساحات والشوارع أثناء المونديال فرحاً وبهجة ومحبة وتسامحاً وعطاء.

لنكن واقعيين.. النية وحدها لا تكفى.. لابد لك من اللاعب "رقم 13" خارج الملعب لكى تحمى لعبك النظيف داخل الملعب من "قلة النية" خارجه.. النية الحسنة المتفتحة لا يمكن أن تصمد أمام دهاء الثعالب العجوزة، ومكر سكان الأَجَمَة عندما يتواجه مع يوتوبيا سكان المدينة الفاضلة يمكن أن يتغير كل شىء إلا قواعد اللعب والمصالح المرتبطة بها!

خاتمة: لِنَفْهَم أصل المشكلة

دعونا من النظرة الضيقة للمشكلة في حدود كرة القدم فقط، وألعاب الكبار فيها التى لا تكون نظيفة أبداً، وأحلام المستضعفين المعلّقة عليها التى لا تتحقق أبداً.. المشكلة أكبر وأخطر من ذلك بكثير. دعونا فى الختام نُوَسِّع النظرة لأصل المشكلة.

منذ قرون أدرك الفكر الإنسانى معضلة اسمها "الدولة": تنين يتمتع بقوة مطلقة (اللفياثان بتعبير توماس هوبز)، يطغى على المدينة ويستبد بها. كان الفكر الإنساني مُدركاً بشكل جيّد لضرورة الدولة وحاجة المجتمع إليها لضمان الأمن، لكنه كان مُدركاً أيضاً لخطورتها وتهديدها للحقوق والحريات.. كان مُدركاً أن الحرية بدون نظام فوضى، لكن كان مُدركاً أيضاً أن النظام بدون حرية استبداد.. المشكلة أن الدولة إذا كانت قوية سَحَقتنا، وإذا كانت ضعيفة فَنَتِنا (من الفناء).. إنها سنة الحياة: "الدنيا عودتنا لما بتدي حاجات بتاخذ حاجات"!

هذا ما أدركه وتفاعل معه الفكر الإنسانى زمان، أما اليوم وغدا فمشكلة البشرية مختلفة.. اليوم وغدا معضلتنا هي "الرأسمالية العالمية المتوحشة".

اجتهد الفكر الإنساني سابقاً لحل معضلة الدولة، ونظّر وجرّب عدة حلول:

- نَظَّر البعض لإلغائها كلياً، لكن اختفى نظام المُنَظِّر واستمرت الدولة!
- واقترح آخرون فصل السلط وموازنة السلطة بالسلطة حتى لا تستبد الدولة بكل السلط.. حل عملي وفعّال لولا مكر المال ونزوع طبائع الاستبداد إلى جمع كل السلط بيد واحدة.
- وأضاف آخرون لتعزيز حل فصل السلط سلطة المجتمع المدنى لضمان التوازن بين سلطة الدولة وسلطة من خارج الدولة (سلطة المجتمع). حركة جميلة أبطل جماليتها وفعاليتها قدرة الدولة غير الديمقراطية على صناعة مجتمع غير مدني!
- واجتهد آخرون فى التنظير لمؤسسة أخلاقية مستقلة توازي الدولة فى القوة وتهيمن عليها بمراقبتها ومحاسبتها. حل أخلاقي جميل لولا أن السلطة، سواء كانت مادية أو رمزية، تُفسد غالباً

أخلاق مالكيها، ولا تقبل بنظر مالكيها القسمة إلا على الواحد أو على نفسها كالأعداد الأولية.

كل هذه الاجتهادات والتنظيرات والتجارب أصبحت متجاوزة أو غير فعالة لأن معضلة البشرية اليوم هى "الرأسمالية العالمية المتوحشة" وليست "الدولة".

تابع الفكر الإنسانى الحى والمتفاعل اجتهاداته لحل المعضلة الجديدة:

- يدعو البعض لمقاطعة شركات الرأسمالية العالمية ويعبئ لذلك دون أن ينتبه أن حركة المقاطعة فى كثير من الحالات ليست سوى أداة لتصفية الحسابات بين أجنحة هذه الرأسمالية العالمية المتوحشة.

- نظّر آخرون لفك الارتباط بين المركز والمحيط بعد اقتناعهم باستحالة تكرار نجاح النموذج التنموي للمركز فى المحيط، ودعوا إلى الرهان على الذات والتحالفات الاقليمية بين دول المحيط.

- ويتفاءل آخرون منتظرين أن يبلغ تركيز المركز (تراكم الرأسمال على الصعيد العالمي)

مستويات قياسية ليتحوّل إلى ثقب أسود يجذب كل شيء إلى داخله ثم يلتهم نفسه وينتهي!

- ويرى البعض أن الرأسمالية العالمية ليست كلها متوحشة، ويدعو للتحالف مع الجناح الإنسانى منها.. لكن هل يوجد في القنافذ أملس!؟

ستستمر دجاجة الرأسمالية العالمية المتوحشة فى إنتاج بيضة، والبيضة فى إنتاج دجاجة، التى ستضع بدورها بيضة... وسيستمر الوضع على هذا النحو ما لم نضع حداً لهذه الحلقة الخبيثة من اللعب غير النظيف والاستغلال المتوحش والافتراس الكلى للاعبين والملعب واللعبة، بصناعة أومليت (خيار الطبخ السريع) أو طاجين دجاج مشرمل (خيار الطبخ الهادئ)!

لكن هل هذا ممكن؟ هذا هو السؤال!



صدر للمؤلف



إضاءات التميز المؤسسي
الجزء الأول
الاستراتيجية



عدد الصفحات: 168 صفحة
الطبعة: الأولى 2015

ملخص الكتاب

عندما تغيب الاستراتيجية ينتكس العمل إلى حريق يومي يستنزف الجهود دون معنى، أو إلى نجاحات تكتيكية تعطي النشوة المخدرة لكن دون وجهة. إن العمل المرحلي الآني من غير عمل مستمر هادف مجرد نثار من الأعمال لا تجمع شتاته رؤية موحدة على المدى البعيد.

إن الاستراتيجية مهمة ومصيرية. مهمة من حيث أنها تخرجنا من عزلتنا وتدفعنا نحو الغير لمواجهته والدخول في تنافس معه، ومن حيث أنها تحررنا من ضغط الضرورة أو الاستعجال أو التجريب. ومصيرية من حيث أنها تساعدنا على إدارة المخاطر واستغلال الفرص، كما تعلمنا الضبط والانضباط، وحس المسؤولية، وتحفز جهود فرق العمل وتوحدها حول رؤية واضحة للمستقبل.

لكن علينا أن نعترف بأن الاستراتيجية هي على درجة كبيرة من التعقيد، وتفترض الكثير من الذكاء والشجاعة، وهذا ما دفعنا إلى تعميق الاشتغال على هذا الموضوع بحثا وترجمة وتأليفا وتدريبا واستشارة. وهذا الكتاب، الذي جمعنا فيه إضاءاتنا في موضوع الاستراتيجية، هو امتداد لمساهماتنا السابقة في هذا المجال.

إضاءات التميز المؤسسي
الجزء الثاني
القيادة



عدد الصفحات: 106 صفحة
الطبعة: الأولى 2016

ملخص الكتاب

ثلاث أزمات تفسر إخفاقات الماضي، وتعمق جراحات الحاضر، وتحاصر آمال المستقبل: أزمة القيادة، وأزمة الاستراتيجية، وأزمة التنظيم. ثلاث أزمات تعاني منها الإدارات العامة والشركات الخاصة والجمعيات والمنظمات عندنا ولا تزال.

والأزمة الأولى أعوص من الثانية والثالثة؛ فلنا من ترهل القيادات وضعف أدائها ما يكفي لتأليف موسوعة في العود الأبدي لتجارب الفشل. لكن لدينا أيضا من نماذج القيادة الناجحة والفعالة ما يدعو للفخر والاعتزاز، ويوفر نماذج حية للدراسة والتحليل.

كانت أزمة الاستراتيجية هي الدافع الأساس لي في ما ترجمت من أدوات ومنهجيات في التشخيص والتخطيط والإدارة الاستراتيجية، وفي ما كتبت من مقالات في موضوع الاستراتيجية خلال السنوات الماضية. وعندما نشرت كتابي "فقه الاستراتيجية" قمت بتوضيح الكثير من المفاهيم، وضبط الكثير من المبادئ، وبناء الكثير من النماذج. تحدثت عن التفكير الاستراتيجي، والفعل الاستراتيجي، والحقل الاستراتيجي، والذكاء الاستراتيجي... وحاولت جهد الإمكان أن أساهم في بناء مفاهيم ومبادئ وأدوات فقه الاستراتيجية بما يساعد كل من يهمه الأمر للخروج من أزمة الرؤية وغموض المشروع.

بعد "فقه الاستراتيجية" أنتقل الآن للكتابة عن القيادة.. عن "فقه القيادة". وأسأل الله عز وجل أن يبارك في الوقت والعمر للكتابة مستقبلا عن "فقه التنظيم".

إضاءات التميز المؤسسي
الجزء الثالث
التنظيم



عدد الصفحات: 223 صفحة
الطبعة: الأولى 2016

ملخص الكتاب

يبدو موضوع "التنظيم" للباحثين والممارسين، على خلاف مواضيع الاستراتيجية والقيادة والأداء، موضوعا مألوفا وملموسا ويسهل تدبيره. فأغلبنا له تجاربه التنظيمية الشخصية في إدارة حكومية أو شركة خاصة أو جمعية خيرية أو منظمة غير حكومية.. ومن السهل تصور مجموعة من الأفراد حول طاولة واحدة يجتهدون في تشكيل وهندسة بنية تنظيمية «فعالة». هذا الإحساس بالبداهة والسهولة في التعاطي مع موضوع التنظيم يُوَلِّد لدى كل واحد منا الاعتقاد بأنه "خبير تنظيم" بالفطرة. والنتيجة المترتبة عن هذه الغيبوبة التنظيمية السعيدة وهذه الصناعة التنظيمية التقليدية بنيات تنظيمية وثقافات تنظيمية تفتقد إلى الفعالية والكفاءة وتشكل أحد أهم مصادر الهدر وعدم الفعالية في أداء منظماتنا.

للمساهمة في الخروج من هذا الواقع يأتي هذا العمل «إضاءات التنظيم» النابع من تحقيق وتدقيق علمي لمفاهيم ومبادئ وممارسات وأدوات هندسة التنظيم، ومن خبرة عملية في المجال.

إن النموذج العلمي الذي نقدمه في هذا الكتاب هو نموذج مصمم بشكل دقيق وفعال، ويشكل وسيلة عملية للفهم العميق لواقع المنظمة والفعل المؤثر فيها. ويتأسس هذا النموذج على مقاربة التنظيم من خلال أربعة أبعاد هي: الفاعلية التنظيمية، وضبط البنية التنظيمية، وانسجام التنظيم مع محيطه الخارجي، وحركية تطور التنظيم.

وانطلاقا من هذه الأبعاد الأربعة وضعنا نموذجنا الرباعي لأبعاد التنظيم:

- البعد الأول: الفاعلية التنظيمية.
- البعد الثاني: بنية التنظيم.
- البعد الثالث: محيط التنظيم.
- البعد الرابع: حركية التنظيم.

إن التنظيمات، كمُحَوِّلات الطاقة، نوعان رئيسيان: رافعات للطاقات البشرية أو خافضات لها، ولنا أن نختار بين الاحترافية في تصميم التنظيم وإدارته للرفع من الأداء أو التجريب الذي يقود إلى ضعف الأداء.

إضاءات التميز المؤسسي
الجزء الرابع
الأداء



عدد الصفحات: 159 صفحة
الطبعة: الأولى 2016

ملخص الكتاب

النموذج الرباعي للتميز المؤسسي" هو مشروع علمي، موضوعه "التميز المؤسسي"، ومنهجه "البحث التدخلي"، وهدفه اكتشاف مبادئ وأبعاد ودعامات وأدوات وممارسات التميز المؤسسي.

ينطلق هذا المشروع العلمي من خصوصيات وحاجات منظماتنا العربية ومن التجارب والنماذج العالمية، ورسالته هي خدمة أداء منظماتنا العربية بكل أنواعها من إدارات حكومية وشركات خاصة وجمعيات خيرية ومنظمات غير حكومية. أما دوافعه فمتعددة:

- أولا لأن إخفاقات الماضي، وجراحات الحاضر، وآمال المستقبل مرتبطة بتقديرنا بأربع أزمات هي أزمة القيادة، وأزمة الاستراتيجية، وأزمة التنظيم، وأزمة الأداء. وبالتالي فإن عوامل التمكين والتميز المؤسسي هي أربعة: الاستراتيجية والقيادة والتنظيم والأداء.

- ثانيا لأن الأداء العالي والمنتظم يحتاج إلى قيادة حازمة واستراتيجية شاملة وتنظيم عقلاني. لكن "سفراء النوايا الحسنة" الذين يجسدون بالنموذج الحي واقعنا لا يملكون سوى قيادات طيبة، وعموميات راقية، وتنظيمات عاطفية. ولا يحققون بمشاعرهم الصادقة الجياشة سوى نتائج عادية في أحسن الحالات.

- ثالثا لأن المشاعر الصادقة الجياشة لا تنقصنا، ولكن ينقصنا الحزم في القيادة، والشمولية في التخطيط، والعقلانية في التنظيم، والتميز في الأداء.

ويتكون هذا المشروع العلمي من أربعة أبعاد:

- القيادة
- الاستراتيجية
- التنظيم
- الأداء

قدمنا في الأجزاء الثلاثة السابقة من هذه السلسلة إضاءات القيادة والاستراتيجية والتنظيم، ونقدم في هذا الجزء الرابع إضاءات الأداء.

إن "النموذج الرباعي للتميز المؤسسي" هو مشروع بحثي تخصصي أصيل، يقوم على قاعدة منهجية وعلمية صلبة ودقيقة، وتجربة وخبرة عملية واسعة ومتنوعة، ويسعى إلى دعم جهود التطوير المؤسسي وتسليحها بسند علمي وعملي مُحَرَّر على شروط أدق المعايير العلمية وأفضل النماذج العملية العالمية.

فقه الاستراتيجية
الجزء الأول
المفاهيم والمبادئ



عدد الصفحات: 124 صفحة
الطبعة: الأولى 2013 - الثانية 2014

ملخص الكتاب

إن الاستراتيجية قضية مهمة بل مصيرية. مهمة من حيث أنها تخرجنا من ذواتنا وتدفعنا نحو الغير لمواجهته والدخول في تنافس معه؛ ومن حيث أنها تحررنا من ضغط الضرورة أو الاستعجال أو التجريب. ومصيرية من حيث أنها تساعدنا على إدارة المخاطر واستغلال الفرص كما تعلمنا الضبط والانضباط وحس المسؤولية؛ ومن حيث أنها تحفز جهود فرق العمل وتوحدها حول رؤية واضحة للمستقبل.
ومن ثم ينبغي لكل من يريد أن يؤدي رسالته بفعالية وكفاءة، وأن يرتقي بأدائه نحو التميز، وأن يساهم عمليا في صناعة التاريخ، أفرادا ومؤسسات، ينبغي له أن يفكر بطريقة استراتيجية وأن يقود بطريقة استراتيجية، لكن ما الاستراتيجية؟
هذا الكتاب يقدم إجابة عن هذا السؤال من خلال استعراض مفاهيم ومبادئ ونماذج فقه الاستراتيجية.
على مستوى الجهاز المفاهيمي لفقه الاستراتيجية كانت فقرات هذا الكتاب فرصة لضبط دلالات عشرات المفاهيم وعلى رأسها مفهوم الاستراتيجية نفسه.
وعلى مستوى المبادئ استعرضنا أيضا عشرات المبادئ المؤسسة للتفكير والفعل الاستراتيجيين.
وأخيرا على مستوى النماذج اعتمدنا أربعة نماذج تأسيسية شكلت مجتمعة نسقا كاملا ومتكاملا لبناء الفهم وتوجيه الإرادة. وهذه النماذج هي:
- أولا نسق الاستراتيجية ويتكون من التنظيم والمشروع والمنهج والتقنية والظرفية.
- ثانيا آلية الفعل الاستراتيجي المكونة من الوسائل والغايات والمنهج الذي يربط بينهما.
- ثالثا الحقل الاستراتيجي بأركانه الثلاثة: الإطار المكاني والزماني للفعل، وحدود الحقل وقواعد المواجهة، والغير.
- رابعا الذكاء الاستراتيجي بأركانه الخمسة: الاستشراف والتفكير النسقي والرؤية المستقبلية والشراكة والقدرة على تحفيز العاملين.

المستويات
7
في القراءة



عدد الصفحات: 147 صفحة

الطبعة: الأولى 2015 - الثانية 2017

ملخص الكتاب

ما معنى "تعلم القراءة"؟

إن تعلم القراءة معناه أولاً أن تجد متعة في القراءة؛ تلك المتعة التي لم تبدأ في حياتنا بالمفردات والمعاني والقواعد وتحليل الخطاب والنقد، وإنما بدأت لحسن حظنا بأغاني الطفولة وحكاياتها.

وتعلم القراءة معناه ثانياً أن تجيد اختيار نوعية الكتب التي تقرأها؛ فليس المهم عدد الكتب التي تقرأها، وليس من الذكاء أن تقرأ أنوار كتب المنبع على ضوء شروحات كتب المصب؛ لأن كتاباً واحداً من المنبع يُغني عن ألف كتاب من المصب، وأن تتحرر من الرعب الذي تسببه كتب المنبع لدى المتمسكين بقراءة كتب المصب، وأن تتوب من ذنب كتب المستنقعات التي تسرق من عمرك.

وتعلم القراءة معناه ثالثاً أن تتقن استخدام المنهجيات الملائمة للفهم الواضح والدقيق. فالقراءة كالتفكير، بل هي التفكير عينه، تلك المعاناة الفكرية التي تقودنا إلى النهاية السعيدة: الوضوح والدقة والبساطة.

وتعلم القراءة معناه أيضاً أن تملك القدرة على القراءة السريعة؛ أي على قراءة وفهم كتاب من مائة صفحة في ساعة واحدة، لكن مع الصبر على قراءة وإعادة قراءة ومقارنة وتمييز وتصنيف وتحليل وتأمل فقرة من مائة حرف في ساعات متعددة وأيام.

وتعلم القراءة هو كذلك أن تملك مهارة القفز بين الخطابات، والنقد الفعال والعملي لها.

وأخيرا تعلم القراءة هو التلقي من مستويات منطقية متعددة.

إن القصة التي يسردها هذا الكتاب هي قصة رحلة ممتعة وطويلة وشاقة؛ قصة وجود خارطة طريق لأنواع ومستويات القراءة. وهذه القصة لا تتحدث عن القراءة فقط، وإنما عن علاقتنا بها أولا. وإذا ما اقتنعت بأن علاقتك بالقراءة تحتاج إلى إعادة نظر فأهلا بك فى رحلة المستويات السبعة للقراءة.

الذكاء المالي وصناعة الثروة
رؤية اجتماعية
الجزء الأول



عدد الصفحات: 121 صفحة
الطبعة: الأولى 2017

ملخص الكتاب

هذا الكتاب هو الجزء الأول من مشروع رؤية جديدة متكاملة للذكاء المالي تنطلق من دراسة تحليلية نقدية لكتابات الرواد الأمريكيين أمثال نبليون هيل وروبرت كيوزاكي الذين يختزلون الذكاء المالي في قوانينه النفسية، وتستهدف نمذجة الذكاء المالي من منظور متكامل: نفسي واقتصادي واجتماعي، مع التركيز على المقاربة الاجتماعية باعتبار أن تسعة أعشار قوانين اشتغال المال واللعبة المالية هي قوانين اجتماعية.

الجزء الأول يستعرض في ثلاثة فصول المقاربات الثلاث للذكاء المالي: المقاربة النفسية، والمقاربة الاقتصادية، والمقاربة الاجتماعية.

أما الأجزاء الثلاثة القادمة فسيتم تخصيصها للقوى الاجتماعية الثلاث التي تتحكم في صناعة الثروة:

- الجزء الثاني: الاستعدادات.

سيستعرض قوة الاستعدادات الذاتية التي ندخل بها اللعبة المالية.

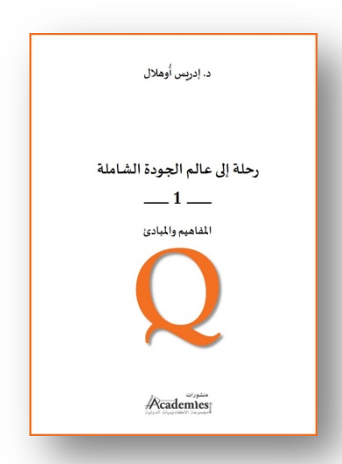
- الجزء الثالث: الرساميل.

سيستعرض قوة الرساميل المتعددة والمختلفة التي يستخدمها اللاعبون.

- الجزء الرابع: اللعبة المالية.

سيستعرض قوة اللعبة المالية وقواعدها التي يتصارع اللاعبون على وضعها من خلال مشاريعهم واستراتيجياتهم.

رحلة إلى عالم الجودة الشاملة
المفاهيم والمبادئ



عدد الصفحات: 96 صفحة
الطبعة: الأولى 2017

ملخص الكتاب

ينطلق هذا الكتاب من هاجس البحث عن إجابة واضحة ودقيقة وعملية لإشكال مهم وحيوي يرتبط به مصير مجتمعاتنا في عصر التحولات الكبرى والتغيرات السريعة والمنافسة القوية وهو: كيف يمكن كسب رهان جودة منظماتنا؟

يتعلق الأمر بسؤال الكيف؛ أي بسؤال عملي همه البحث عن الكيفية العملية التي من شأن تبنيها واعتمادها أن يتيح لمنظماتنا فرصة لكسب رهان الجودة.

ويتضمن جواب سؤال: كيف، شقين:

- الشق الأول متعلق بضبط المفاهيم والمبادئ.
- الشق الثاني متعلق بالطرق والأدوات.

في هذا الجزء الأول من رحلتنا إلى عالم الجودة الشاملة قمنا بضبط المفاهيم والمبادئ الأساسية للجودة.

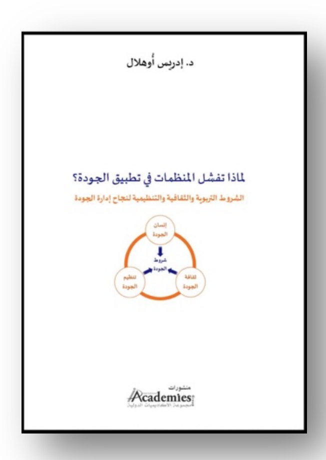
وقد اخترنا، عن قصد، لهذه الرحلة أسلوب التركيز والاختصار الذي يجعل الرحلة سهلة وممتعة، دون أن يفقدها مطالب الدقة والوضوح والعمق.

وقد سلكنا في رحلتنا مع المفاهيم والمبادئ الأساسية للجودة المحطات التالية:

- المحطة الأولى لمعرفة الحاجة إلى الجودة.
- المحطة الثانية لتعريف الجودة وضبط مختلف دلالات المفهوم.
- المحطة الثالثة لاستعراض موجز تاريخ الجودة.
- المحطة الرابعة للوقوف على مبادئ الجودة ومعارفها العميقة.
- المحطة الخامسة لمعرفة المقاربات المختلفة لإدارة الجودة.
- المحطة السادسة لمعرفة أبعاد الجودة واختلاف مقارباتها.
- المحطة السابعة والأخيرة لمعرفة شروط الجودة.

لماذا تفشل المنظمات في تطبيق الجودة؟

الشروط التربوية والثقافية والتنظيمية لنجاح إدارة الجودة



عدد الصفحات: 58 صفحة
الطبعة: الأولى 2018

ملخص الكتاب

ينطلق هذا الكتاب من التساؤل عن السبب الذي يجعل الكثير من جهود المنظمات في بناء أنظمة الجودة تفشل، ويحاول الإجابة عن هذا التساؤل من خلال نموذج ثلاثي يركز على تربية الجودة وثقافتها وتنظيمها.

إن عوامل فشل أنظمة الجودة كثيرة، والمقاربة الإدارية التقنية للجودة التي تنشغل بالمتطلبات القيادية والإدارية والعمليات والإجراءات والمعايير والطرق والأدوات غير كافية، وتحتاج المنظمات إلى مقاربة تربوية ثقافية تنظيمية تعطي الأولوية لتربية الجودة وثقافتها وتنظيمها.

إن نظام الجودة يحتاج إلى فاعل هو إنسان الجودة، وإلى بيئة داعمة هي ثقافة الجودة، وإلى أدوات تنظيمية تمنح الفعالية والكفاءة في الفعل هي تنظيم الجودة. وهكذا تنجح خطط الجودة عندما تجتمع هذه الشروط التأسيسية الثلاثة:

- شرط في مواصفات الفاعل: إنسان الجودة.
- شرط في البيئة الثقافية: ثقافة الجودة.
- شرط في الوسيلة التنظيمية: تنظيم الجودة.

إنه لا جودة بدون إنسان الجودة، ولا يمكن بناء إنسان الجودة بدون ثقافة الجودة وتنظيمها.

مدارس الفكر الاستراتيجي
العميان العشرة والفيل



عدد الصفحات: 131صفحة
الطبعة: الأولى 2018

ملخص الكتاب

كل مدارس الفكر الاستراتيجي عميان أمام هذا الفيل المسمى "الاستراتيجية"، عميان لأن كل مدرسة تدرك جانباً منه فقط، وتجهل جوانبه الأخرى.
تستمد هذه المدارس مرجعياتها من مصدرين: خبرة المستشارين وعلم الجامعيين. يميل المستشارون إلى رسم لوحات ثلاثية الأبعاد لكن لحيوان جامد، ويعشق الجامعيون رسم نفس الحيوان الجامد لكن في لوحات ثنائية الأبعاد.
ورغم هذا التحنيط الذي طال الحيوان من طرف المستشارين والجامعيين، انتشرت الاستراتيجيات ولقيت إقبالاً كبيراً. لكن رغم هذا الإقبال لم تنجح الاستراتيجيات في الغالب الأعم (بعض الدراسات تقول أن كل تسع خطط من أصل عشرة تفشل)، لأن قادة المنظمات ومديريها حُشِروا في منظورات ضيقة مع عجائب التخطيط الاستراتيجي وغرائب معاييره، وما كان لها إلا أن تفشل لأن الفيل جُزّئ تجزيئاً وتَحَوَّل إلى جسد بدون روح.
إن الاستراتيجية لا يمكن لها أن تنجح بالتخطيط الاستراتيجي وحده، أو بحدس القيادة وحده، أو بتعلم المنظمة وحده، أو بأي جزء آخر من أجزاء الاستراتيجية. إن حاجة قادة المنظمات ومديروها إلى معرفة أفضل الممارسات العالمية في مجال الاستراتيجية والاستفادة منها مهمة، من أجل المضي قدما نحو مدرسة شمولية ومتوازنة في الفكر الاستراتيجي، لكن كيف يمكن جمع شتات علم وفن الاستراتيجية من خلال نظرة نسقية تستفيد من منظورات العميان العشرة، وتتجاوزها إلى نظرة شمولية ومتكاملة ومتوازنة وفعالة؟ هذا هو السؤال.

قواعد الحزم
دليلك إلى القيادة الحازمة



عدد الصفحات: 330 صفحة
الطبعة: الأولى 2019

ملخص الكتاب

هذا كتاب فى قواعد الحزم، بعيداً عن الطيبة وبعيداً عن المكر، يحاول أن يسد نقصاً واضحا فى المكتبة العربية فى مجال السلوك الحازم والقيادة الحازمة، ويسعى إلى المساهمة فى رفع فن القيادة الحازمة إلى مستوى العلم الذي تحكمه قواعد واضحة.

فكرة هذا الكتاب نابعة من الحاجة إلى التنظير والتخطيط للقيادة الحازمة بعيدا عن النموذجين السائدين: القيادة الطيبة والقيادة الماكرة. وهو يتأسس على فرضية أن أزمتنا فى القيادة هي غياب نموذج القيادة الحازمة.

وقد قمنا بنمذجة صفة الحزم فى القيادة من خلال خمسة أسئلة، تغطى الأبعاد الخمسة لشخصية القائد، وهي: الإرادة والمعرفة والقدرة والقيم والفعل. إن مطلب الحزم يتحقق بالتوازن بين متطلبات هذه الأبعاد الخمسة.

وقد عجّل بإخراج هذا الكتاب مقال تهنئة بمناسبة سنة جديدة؛ اعتاد الناس أن يُقال لهم على رأس كل سنة: "كل سنة وأنتم طيّبون"، لكن المقال جاء يحمل تهنئة غير عادية: "كل سنة وأنتم حازمون". ومباشرة بعد نشر المقال جاءتنى رسائل واتصالات تسأل: كيف أكون حازماً؟

لكل هؤلاء الذين سألوا، ولكل الذين هرموا في فهم وحفظ نفس تجارب المكر لسكان الأجمة، ونفس تجارب الطيبة لسكان المدينة الفاضلة، ولكل الذين يبحثون عن طريق نحو الحزم في زمن ضاع فيه كل شيء بين سذاجة الطيبين ومكر الماكرين، هذه هى قواعد الحزم.

الانفجار العظيم
عصر النهايات



عدد الصفحات: 187 صفحة
الطبعة: الأولى 2021

ملخص الكتاب

هذا كتاب في استشراف المستقبل وقراءة آفاقه المحتملة، إذ لم يعد بالإمكان التخطيط للمستقبل بدون استشرافه، في ظل حاضر مضطرب وعنيف ومستقبل غامض ومُرعب.
يستمد هذا الكتاب ضرورته من الأزمة العالمية الحالية والحاجة إلى فهم ما يجري من تحولات وتغييرات، ويستمد مشروعيته العلمية والفكرية والمنهجية من مرجعيات ومقاربات متعددة ومتكاملة، ومن تحليل الواقع الراهن بمختلف أبعاده للكشف عن حركيته وتحولاته، ومن فكر نسقي مُركّب عابر للتخصصات نُؤمن أنه وحده يستطيع أن يرى الواقع المُركّب على حقيقته ويفهم الأزمات المُركّبة في شموليتها وتعدد أبعادها.
في هذا الكتاب سنقوم بتجميع شتات قصة نهايات متعددة ومتنوعة (والنهايات الواردة فيه هي للتمثيل وليست للحصر)، وتجميع شتات قصة بدايات جديدة أيضاً.. تجميع القِطَع ضروري لتكتمل عندنا الصورة الكلية للنهاية والبداية، ونُدرك التغييرات والتحولات الجارية في الحاضر والقادمة في المستقبل. من يفهم "الموت" و "الحياة" وينجح في رصد "دواب الأرض" الدالة عليهما يُجَنِّب نفسه البقاء في العذاب المهين.
يبحث هذا الكتاب في خطاب النهايات لفهم وتفسير علاقة الجديد بالقديم، وطوفان التحولات التي يعيشها العالم، وما تتطلبه البدايات الجديدة من فهم للحياة باعتبارها ظاهرة مُتجدّدة، وللصراع باعتباره قانونا اجتماعيا كونيا.

المؤلف في سطور

- عُرف طيلة مساره الدراسي بتميزه وتنوع دراساته، حيث تابع دراساته الثانوية بتخصص الرياضيات، ودراساته الجامعية والعليا بعدة تخصصات هي: الرياضيات وعلم الاجتماع والفلسفة والدراسات اللغوية وعلوم التربية وإدارة الجودة.
- باحث ومستشار ومدرب دولي في القيادة والاستراتيجية والتنظيم وإدارة الأداء وإدارة التغيير.
- باحث في تحليل النظم، ويعمل كباحث ومترجم ومدير دراسات مع عدة معاهد ومراكز عربية ودولية للبحث العلمي.
- صمّم العديد من النماذج والأدوات في مجالات القيادة والاستراتيجية والتنظيم والأداء وإدارة التغيير.
- ترجم 4 منهجيات إدارية عالمية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ودرّب عليها آلاف الممارسين والخبراء بالعالم العربي.
- له 13 مؤلف منشور في مجالات تخصصه، ومؤلفات أخرى قيد النشر، وعدة مقالات وحوارات منشورة.
- قدم تدريب واستشارات ودراسات لمئات الدوائر الحكومية والشركات الخاصة والمنظمات غير الحكومية بـ 19 دولة وأكثر من 150 مدينة.
- درّب عشرات الآلاف من المتدربين في دوراته وندواته ومحاضراته.
- أسس وساهم في تأسيس عدة شركات وبيوت خبرة متخصصة في الدراسات والتدريب والاستشارات.
- حاصل على أكثر من 200 شهادة ودرع تكريم وجائزة تميز من عدة جهات حكومية وشركات خاصة ومنظمات غير حكومية.

للتواصل مع المؤلف :



00212661167312


drissohlale@gmail.com


facebook.com/driss.ohlale


twitter.com/DOhlale



youtube.com/drissohlale



Driss Ohlale

الفهرس

هذا الكتاب

زمان كانت العقلية التى تحكم مشاركاتنا فى كأس العالم هى "المهم هو المشاركة"؛ نحصد ثلاث هزائم متتالية فى الدور الأول ثم نستقل أول طائرة للعودة. وعندما نحظى بإنجاز أفضل نتحول إلى عقلية "الخروج المشرف" بالبحث عن انتصار الشرف أو هدف الشرف الوحيد!

تحدي الكبار والبحث عن الفوز والإصرار عليه عقلية افتقدناها لعقود حتى اعتقدنا أن الحظ السيء هو لعنة أبدية تلاحقنا، لكن ما رأيناه فى مونديال قطر، فى العقلية والممارسة قبل النتائج، شيء غير مسبوق ومختلف كلياً.. فى قطر بدأ تاريخ جديد بعقلية جديدة تفهم اللعبة جيداً.. تفهم أن النتائج المتميزة تحتاج إلى اللاعب المحترف والتكتيك الذكى والتفانى فى الميدان.. تفهم أن قوة الكبار ما هى فى أغلبها إلا قوة سالبة مصدرها "عقلية القطيع" التي تنتظر أن يُفعل بها ولا تَفعل.. تفهم أن تحكّم الكبار ما هو في حقيقته إلا عملية ترويض ماكرة للمنتخبات والأندية واللاعبين والجمهور من خلال قواعد لعب غير عادلة وتكتيكات مواجهة غير نظيفة يسهر على تنفيذها حراس المعبد ووكلاءه.

إذا فهمنا هذا بعمق علينا أن نتحول من ثقافة الخضوع والتبعية إلى ثقافة التحدي، ومن عقلية "المهم هو المشاركة" إلى عقلية "تحدي الرواد" والمنافسة على الألقاب، وهذا الكتاب مساهمة فى تعزيز هذا الوعى وهذا التحوّل!